الفصل السادس

نجوم تألقت فى دار المعارف

محمد حسين هيكل (١٨٨٨م - ١٩٥٦م).. مؤرخ السيرة النبوية

محمد حسين هيكل

أديب وصحفى، وروائى ومؤرخ وسياسى مصرى كبير، صاحب أول رواية عربية باتفاق نقّاد الأدب العربى الحديث، كما أنه قدم التاريخ الإسلامى من منظور جديد يجمع بين التحليل العميق، والأسلوب الشائق، وكان أديبًا بارعًا، كما كان له نشاط كبير فى التاريخ السياسى المصرى الحديث. ولد عام ١٨٨٨م بمحافظة الدقهلية لأسرة ثرية، توجه فى صغره إلى الكتاب، ثم التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية، وأكمل دراسته بعدها بمدرسة الخديوية الثانوية، ثم قرر الالتحاق بمدرسة الحقوق المصرية عام ١٩٠٩م. سافر بعد ذلك إلى فرنسا ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه. وعاد هيكل إلى مصر عام ١٩١٢م، واشتغل بالصحافة حتى عام ١٩١٧م، مارس بعدها التدريس الجامعى حتى عام ١٩٢٢م إلّا إنه ضاق ذرعًا بالعمل الوظيفى، فقرر الاستقالة ليتفرغ للعمل السياسى، فكان أحد أعضاء مجلس إدارة حزب الأحرار الدستوريين، ورئيسا له فيما بعد، كما تقلد منصب رئيس تحرير جريدة «السياسة» التى أسسها الحزب، وتقلّد عدة مناصب حكومية رفيعة منها

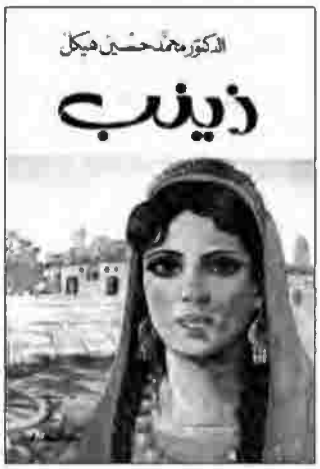

توليه لوزارة المعارف ثلاث مرات، وتوليه لوزارة الشئون الاجتماعية، كما كان رئيسًا لمجلس الشيوخ، ورئيسًا لوفد مصر فى الأمم المتحدة عدة مرات.

مر التطور الفكرى لهيكل بمراحل، حيث بدأ حياته الفكرية مؤمنًا بالقيم الغربية، والنزعة الفرعونية التى شهدت تناميًا بسبب تقدم الدراسات الأوربية فى حقل «المصريات»، إلا إنه بعد إمعان النظر، بدأ يخضع ما يراه من سلوكيات اجتماعية وأخلاقية مصاحبة للحداثة الغربية للنقد، حيث عاصر الوجه القبيح للمشروع الحضارى الغربى الذى أدى لقيام الحرب العالمية الأولى والثانية والتى تسببت فى مقتل أكثر من خمسين مليون إنسان، كما عايش الظاهرة الاستعمارية ورأى كيف أن الديمقراطية الغربية تكيل بمكيالين.

لم يكن متصومعًا على نفسه، يحلق بفكره فى أبراج عاجية تنأى عن هموم الناس ومشاكلها اليومية، بل كان رجل فكر وحركة، فكما كان يكتب فى الفلسفة والتاريخ والأدب، كان فى الوقت ذاته رائدًا من رواد العمل السياسى العام فى مصر الحديثة، يكافح من أجل استقلال مصر. وقد توفى الدكتور هيكل عام ١٩٥٦م، بعد ثمانية وستين عامًا قضاها فى جهاد فكرى وحركى.

وقد نشرت له دار المعارف العديد من مؤلفاته.. منها :

١ ـ حياة محمد.

٢ ـ الصديق أبو بكر.

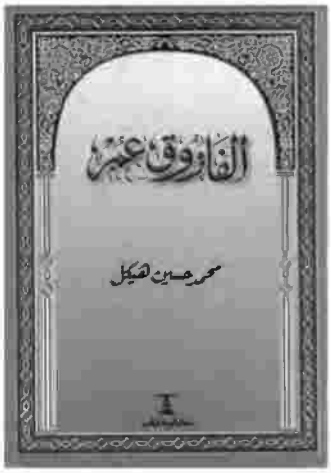

٣ـ الفاروق عمر.
٤ـ جان جاك روسو وكتبه (ثلاثة أجزاء).
٥ـ تراجم مصرية وغربية.
٦ـ فى أوقات الفراغ.
٧ـ مذكراتى فى السياسة المصرية (ثلاثة أجزاء).

عباس محمود العقاد (١٨٨٩م - ١٩٦٤م)

عباس محمود العقاد

والعقاد غنى عن التعريف، فهو عبقرى من عباقرة الأدب العربى، وشاعر ومؤرخ وفيلسوف مصرى، برغم تخرجه من المرحلة الابتدائية فقط فإنه شغفه بالقراءة والبحث جعله يقبل على العلم ويستزيد منه، فأصبح بذلك علما من أعلام الفكر وأنصار التجديد فى الأدب. عرف بمعاركه الأدبية مع كبار الكتاب، فاختلف مع طه حسين وغيره من النقاد بسبب قراءاته التحليلية المتفردة والخارجة عن المألوف، حظى بإعجاب وتقدير نظرائه

الذين وجدوا فى أدبه نبض الحياة المصرية الحديثة. من أشهر أعماله «العبقريات» وهى سلسلة من المؤلفات التى استهلها بـ «عبقرية محمد» وختمها بـ «عبقرية المسيح».

انفردت دار المعارف وطوال أكثر من ثلاثة عقود فى حياته، بنشر الإنتاج الفكرى لعباس محمود العقاد، أشهرها وأظهرها وأبقاها أثرا وتأثيرا، أخرجته دار المعارف. وحتى بعد رحيله تعددت طبعات العشرات من كتبه فى الإسلاميات، والسير والتراجم، والدراسات الأدبية واللغوية، والدراسات التاريخية.. إلخ.

فى سلسلة «نوابغ الفكر العربى» صدر الكتاب الأول عن «ابن رشد» بتوقيع العقاد، وفى هذا الكتاب يظهر ابن رشد ظهورا واضحا ممهدا له بذكر حركات العلم والسياسة والاجتماع، فتنجلى للقارئ الكريم بعد هذا التمهيد جوانب كثيرة من حياة الفيلسوف العربى الذى كان منفعلا بعصره وفاعلا فيه وفى ما تلاه من عصور.

وفى سلسلة «اقرأ» أخرج العقاد ما يزيد على الكتب العشرة كلها صارت من أشهر أعماله وأكثرها طباعة ورواجا ربما حتى الآن.. أما كتبه الأخرى التى أخرجها فى كتب النشر العام، فهى كثيرة جدا، لكن من أهمها على الإطلاق:

«اليوميات» و«الفصول» و«الخلاصة»..

أما «اليوميات» التى تقع فى ٤ مجلدات ضخام من القطع الكبير، فمقالات كتبت بمبضع الجراح لا يشق إلا بتقدير ولا يقطع إلا بمقدار. تحلت بالقوة وتنوعت فيها المعارف؛ فمن

فصول فى الدين والفلسفة وعلم النفس إلى نظرات فى السياسة والاجتماع والاقتصاد إلى دراسات فى العلوم والآداب والفنون.

ويأتى مجلد «الإسلاميات» الذى طبع عشرات الطبعات، وضم بين دفتيه سبعة كتب أساسية.

«أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب».. فى هذه الصفحات فصول متفرقة يجمعها غرض واحد هو تصحيح بعض الأخطاء فى النظر إلى اللغة العربية والحكم على مكانتها بين اللغات العالمية التى تصلح لأداء رسالة العلم والثقافة فى القرن العشرين.

ونشرت له دار المعارف أيضا..

١ ـ الديمقراطية فى الإسلام.

٢ ـ كتاب الله.

٣ ـ تذكار جيتى.

٤ ـ التعريف بشكسبير.

٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوربية.

سهير القلماوى (١٩١١م - ١٩٩٧م).. رائدة دراسات «ألف ليلة وليلة»

كانت سهير القلماوى بطبيعة تكوينها وثقافتها تجمع بين القديم والحديث، تعلمت الجديد فى المدارس الأجنبية التى درست بها قبل أن تلتحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، وأتقنت العديد من اللغات الأوربية (الإنجليزية والفرنسية)، واستعدت لدخول كلية الطب، ولكن كلية

سهير القلماوى

الطب لم تقبل أوراقها لأنها فتاة، فقد كانت الجامعة المصرية تتردد فى قبول الطالبات حتى عام التحاق سهير القلماوى بها. وذهب والدها الطبيب الشهير إلى طه حسين ليعينه على حل مشكلة ابنته، ولكن طه حسين صرف نظر الطالبة عن كلية الطب، وأقنعها بالالتحاق بكلية الآداب، والدراسة فى قسم اللغة العربية الذى كان أشهر أساتذته.

ويبدو أن شخصية طه حسين الساحرة جذبت الفتاة سهير القلماوى إليه، فتعلقت به، واتخذته أبا ثانيا وأستاذا ومشرفا ورائدا ومثلا أعلى فى الحياة، وأجلها الأستاذ وأعجب بها، ووجد فيها نموذجا للمرأة الجديدة التى كان المثقفون المصريون يحلمون بها منذ أن كتب قاسم أمين كتاب «المرأة الجديدة» ونشره سنة ١٩٠٠م من القرن الماضى.

وبعد أن حصلت على درجة الدكتوراه، انتهى بها الأمر أستاذة للأدب الحديث ونقده فى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة، ثم أصبحت رئيسة للقسم، فكانت الفتاة الأولى التى تدخل كلية الآداب، والفتاة الأولى التى تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة مصرية، والأستاذة الأولى التى تترأس قسما من أقسام الدراسات العلمية بالجامعة، وكانت فى إشرافها على القسم، كما يروى تلامذتها، نموذجا للحزم الإدارى، والصلابة الموضوعية، والمواقف المحايدة العادلة.

تزوجت سهير القلماوى من المرحوم يحيى الخشاب الأستاذ الرائد فى اللغات والآداب الشرقية (اللغة الفارسية وآدابها)

وصاحب الترجمة المهمة لرحلة ناصر خسرو الشهيرة «سفرنامه» وصاحب الكتب والدراسات المرجعية فى الأدب الفارسى.. تولت منصب أستاذ الأدب العربى الحديث بكلية الآداب عام ١٩٥٦م، ثم منصب رئيس قسم اللغة العربية (١٩٥٨م- ١٩٦٧م). كما تولت الإشراف على (دار الكتاب العربي)، ثم الإشراف على مؤسسة التأليف والنشر فى الفترة من (١٩٦٧م- ١٩٧١م)، وأسهمت فى إقامة أول معرض دولى للكتاب بالقاهرة عام ١٩٦٩م والذى يشمل على الأخص جناحا خاص بالأطفال وهو ما استمر بعد ذلك ليصبح فيما بعد المعرض السنوى لكتب الطفل، فى عام ١٩٧٩م أصبحت عضوًا بمجلس الشعب عن دائرة حلوان، وشاركت فى عضوية مجلس اتحاد الكتاب، واختيرت عضوًا بالمجالس المصرية المتخصصة. ومثلت مصر فى العديد من المؤتمرات العالمية..

نالت سهير القلماوى العديد من الجوائز والأوسمة منها: جائزة الدولة عن كتابها «المحاكاة فى الأدب» عام ١٩٥٥م، وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٧٧م، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٧٨م.

ارتبط اسم الأستاذة الجليلة، تلميذة طه حسين النجيبة، بدار المعارف ارتباطا وثيقا منذ بدأت مسيرتها الأكاديمية ورحلتها مع البحث والتأليف، فصدرت أوفى طبعة من كتابها التأسيسى المرجعى «ألف ليلة وليلة- دراسة وتحليل» فى مكتبة الدراسات الأدبية (الكتاب رقم ٦) عام ١٩٥٦م، بتصدير طه حسين،

وكان رسالتها للدكتوراه، أتمتها بتحفيز وتشجيع من أستاذها طه حسين، ونالت عنه الجائزة الأولى لمجمع اللغة العربية.

هذا الكتاب الذى فتح الباب واسعا أمام طلاب الدراسات الشعبية، أدارته الدكتورة سهير القلماوى حول الكتاب الساحر «ألف ليلة وليلة»، أعظم ما أنتجه الخيال الإنسانى من إبداع فى قص الحواديت وسرد الحكايات، واحتل مكانة مرموقة فى الآداب العالمية ككتاب قصص رائع وخالد...

وعن طبعة دار المعارف، صدرت طبعات عديدة مصورة، ومزورة أيضا، ولا زال هذا الكتاب حتى الآن محل اهتمام الباحثين والدارسين فى مجال الدراسات الشعبية بصفة عامة، ودراسات ألف ليلة وليلة بصفة خاصة.

وعندما اضطلعت دار المعارف بإخراج «مسرحيات شكسبير» ضمن مشروع ضخم مولته وقامت عليه الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بتوجيه وإشراف الدكتور طه حسين، اشتركت سهير القلماوى فى ترجمة ومراجعة المسرحيات الآتية: «هنرى السادس» (جزءان)، «تيتوس أندرونيكوس»، «كوميديا الأخطاء»، «سيدان من فيرونا»، «روميو وجولييت»، «ترويض الشرسة»، «مأساة الملك ريتشارد الثانى»، «الليلة الثانية عشرة»، «هاملت أمير دانمركة»، «ترويلوس وكريسيدا»..

فى عام ١٩٥٨م أصدرت سهير القلماوى كتابها الممتع «العالم بين دفتى كتاب» الذى بَثّت فكرته على ترجمة مقالات عن القراءة وأنواعها وطرائقها المختلفة كانت تتصرف فيها إلى حد

كبير وتستبدل بنماذجها الغربية الموجهة للقارئ الأوربى فى المقام الأول نماذج عربية من التراث أو الأدب المعاصر. وكان من بين مقالات الكتاب مقالا بعنوان «القراءة المثمرة» اختير ضمن دروس المطالعة والقراءة لطلاب مراحل التعليم الأساسى.

وفى عام ١٩٦٥م، صدر كتابها «ثم غربت الشمس»، عن نهاية الوجود الإسلامى فى الأندلس وزوال دولة بنى نصر الأحمر فى غرناطة، فى سلسلة (اقرأ)، العدد ٧٦، وكتابها «ذكرى طه حسين» صدر أيضا فى سلسلة (اقرأ) العدد ٣٨٨، نوفمبر ١٩٧٣م.

عائشة عبد الرحمن (١٩١٣م - ١٩٩٨م).. بنت الشاطئ

د. عائشة عبد الرحمن

لم يكن التعليم سهلا ميسورا لبنات مصر فى زمن بنت الشاطئ، لذا خاضت صعابا كثيرة، وواجهت مشاكل وعقبات عديدة، وعانت صراعا طويلا بين اليأس والأمل فى سبيل تحقيق غايتها فى التعليم المدنى الذى كانت تطمح فى الحصول عليه خلافا لرغبة والدها الذى كان يرفض هذا اللون من التعليم، ويصر على تعليمها فى البيت شأن بنات البيوت المحافظة التى لا تسمح للبنات بدخول المدارس.

لقد تكون البناء العلمى والثقافى لبنت الشاطئ على أساس العلوم العربية كالنحو والأدب، والعلوم الإسلامية كعلوم التفسير والحديث، وأثمرت الشدة فى تحصيل هذه العلوم، وحفظ بعضها إلى تكوين شخصية أدبية وعلمية عظيمة تميزت بها بنت الشاطئ عندما اجتازت مرحلة طفولتها، وتدرجت فى مراحل حياتها، إلى أن أصبحت رمزا من رموز العلم والخلق والمعرفة.

تخرجت عائشة عبد الرحمن فى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٩م، بعد أن حصلت على

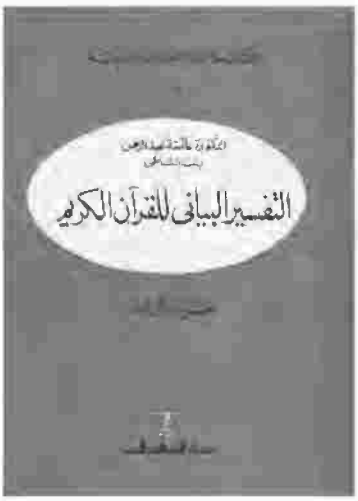

الليسانس الممتازة، وعينت معيدة بالقسم ذاته في العام نفسه، وبعد ذلك بعامين حصلت على الماجستير سنة ١٩٤١م بمرتبة الشرف الأولى، ثم حصلت على الدكتوراه بدراستها المهمة عن «رسالة الغفران لأبي العلاء المعري» سنة ١٩٥٠م بتقدير ممتاز، وقد كانت بهذه الرسالة قد ازدادت شهرة لتحقيقها ودراستها لنص من نصوص الأدب الصعبة في التراث العربي، أثبتت في البحث العميق فيه كفاءتها العملية، واستعرضت علمها الواسع بتراث الأدب العربي في نماذجه الجليلة الأصيلة، وأشرف عليها في هذه الرسالة الدكتور طه حسين، عميد الأدب العربي، وكان وزيرا للمعارف وقتها، وقد أشاد طه حسين بعملها الجاد في هذا البحث، وأشاد بها أعضاء المناقشة كذلك.

تولت الدكتورة بنت الشاطئ كثيرا من المناصب العلمية المهمة، أستاذة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس من سنة ١٩٦٢م، وأستاذة التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرويين بالمغرب عام ١٩٧٠م، وأستاذة منتدبة بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٦٢م، وأستاذة منتدبة بمركز تحقيق التراث، بدار الكتب القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨م.

كان للدكتورة بنت الشاطئ دور كبير في إثراء الحياة العلمية والثقافية بجهودها الثقافية وحضورها العلمي ليس في مصر وحدها وإنما في العالم العربي، فقد كانت أستاذة زائرة

لكثير من الجامعات العربية مثل : جامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة الخرطوم، وجامعة القاهرة فرع الخرطوم، وجامعة الجزائر، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمارات العربية، وكلية التربية للبنات بالرياض. ولم يقتصر دور الدكتورة «بنت الشاطئ» الثقافي والعلمي على المجال الجامعي، بل امتد إلى كثير من المؤسسات والهيئات الثقافية التي شرفت بعضويتها مثل : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمجلس الأعلى للثقافة، والمجالس القومية المتخصصة.

قامت الدكتورة «بنت الشاطئ» عبر رحلتها العلمية الثقافية الحافلة بالعطاء بتأليف عدد كبير من الكتب والأبحاث، كما شاركت في عدد كبير من المؤتمرات المصرية والعربية والعالمية، وكانت وجها مشرقا للأستاذة المصرية التي مثلت الشخصية المصرية في إسهامها في رقي العلوم والفنون والآداب عبر عصور الإنسانية منذ تاريخ طويل ضارب في أعماق الحضارة والعلم والإيمان.

ارتبط اسم بنت الشاطئ بدار المعارف منذ خطت خطواتها الأولى في عالم التأليف والكتابة، وبعد حصولها على درجة الدكتوراه عن تحقيقها لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ونالت جائزة مجمع اللغة العربية لتحقيق النصوص عن عملها هذا سنة ١٩٥٠م، صدرت الطبعة الأولى من «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري بتحقيق عائشة عبد الرحمن عن سلسلة «ذخائر العرب».

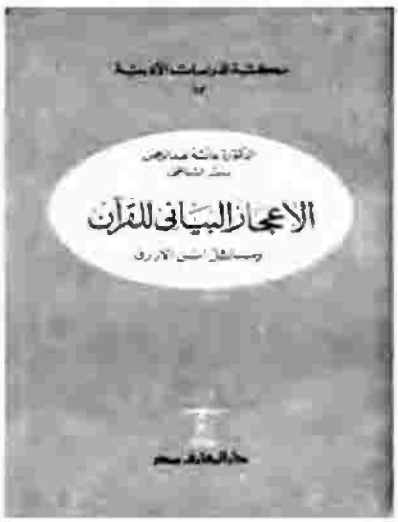

ونشرت دراستها المفصلة عنه أيضا فى كتاب مستقل صدر عن «مكتبة الدراسات الأدبية» بعنوان «رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى» وفى عام ١٩٥١م، صدر لها ضمن إصدارات سلسلة (اقرأ)، العدد ١٠٤، كتابها الصغير الممتع «أرض المعجزات» (رحلة فى جزيرة العرب)، وعن دار المعارف أيضا، صدر كتابها «قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر»،

وأما إسهامات بنت الشاطئ فى دراسة اللغة العربية والكشف عن أسرارها الجمالية البلاغية خاصة فى أسلوب القرآن الكريم، فقد احتلت مساحة كبيرة من إنتاجها العلمى والبحثى، وصدر لها فى هذا الإطار عدة كتب ودراسات صدرت كلها عن دار المعارف.

من أشهر هذه الكتب «التفسير البيانى للقرآن الكريم» الذى صدر فى جزئين عن «مكتبة الدراسات الأدبية»،

وصدر لها أيضا «من أسرار العربية فى البيان القرآنى»، الذى درست فيه البيان القرآنى والإعجاز القرآنى مبينة ما يتميز به أسلوب القرآن الكريم من فصاحة عربية تعد مثلا رفيعا لجمال أسلوب اللغة العربية وأثره فى النفس، كما كشفت

بنت الشاطئ فى هذا الكتاب أثر دراسة البيان القرآنى فى معرفة أسرار اللغة العربية فى قراءة منهجية دقيقة لدراسة الحرف واللفظ القرآنى فى المصحف كله، لتبين سياقه الخاص فى الآية والسورة، وسياقه العام فى القرآن الكريم كله، وهو المنهج الذى تأثرت فيه بأمين الخولي.

أما فى كتابها «لغتنا والحياة»، الذى صدرت طبعته الأولى عن دار المعارف، فقد ربطت بين اللغة العربية؛ قديمها وحديثها، ضمن ما اهتمت به من القضايا الحيوية «إذ يظل موضوع اللغة جديدا ما بقيت هذه العربية - أى اللغة العربية- أداة نطقنا وتفكيرنا، ولسان قوميتنا، ووسيلة الثقافة والتعبير عن إنسانيتنا، واللغة التى تصلنا بتراث أسلافنا، وتاريخ أمتنا، وبها نتفاهم ونلتقى عبر حدود الزمان والمكان».

وفى كتابها «تراثنا بين ماض وحاضر» تدعو الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى نهوض الأمة العربية، وتقرر أن التراث يستوعب الماضى والحاضر والمستقبل. لا يعنى الاهتمام بالتراث القديم إهمال متطلبات التجديد فى العصر الحديث، ولا يعنى التجديد إنكار التراث القديم الذى يمثل الذات العربية، والشخصية القومية.

شوقى ضيف (١٩١٠م - ٢٠٠٥م).. شيخ مؤرخى الأدب العربى

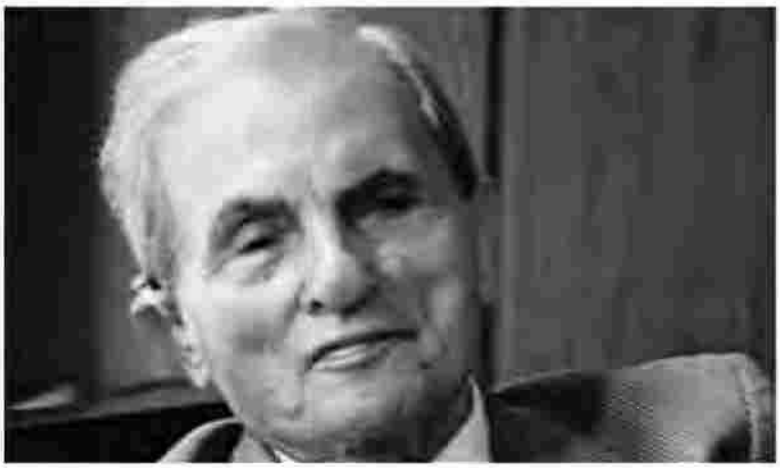

نظرة واحدة إلى قائمة مؤلفاته المطبوعة، وتحقيقاته، تجعل منه حالة فريدة فى ضخامة الإنتاج الفكرى واستمراره، أو عدم انقطاعه، سواء من الناحية الكمية أو الكيفية. ولو قسمنا عدد الكتب التى أصدرها على سنوات عمره (توفى رحمه الله عن خمسة وتسعين عاما) لكانت المحصلة أكثر من كتاب على امتداد نصف قرن من النشاط الأكاديمى الخصب. والنتيجة هى أنه لا يمكن أى قارئ أن يمضى فى معرفة الأدب العربى وتاريخه الممتد وبيئاته المتنوعة من دون أن يرجع إلى كتب شوقى ضيف، ويجد فيها من ثراء المعلومات وشمول المنظور ما لا يجده عند غيره. والأمر نفسه ينطبق على مجالات التراث البلاغى والنقدى، والتراث اللغوى والنحوى، والدراسات الإسلامية والحضارية، وهى المجالات التى تظل كتابات شوقى ضيف فيها أشبه بالمنارة التى يستهدى بها السائر فى عتمات البحث العلمى، أو حتى الثقافى التى تسعى إلى استكشاف الآفاق المتعددة لأنشطتها وموروثاتها.

وإذا كان المرحوم شوقى ضيف قد فُتن بالعقاد وكتب عنه كتابه الصغير القيم «مع العقاد»، وقال عنه "لم يكتسب العقاد مكانته الأدبية الرفيعة من جاه ولا من وظيفة ولا من لقب علمى، وإنما اكتسبها بكفاحه المتصل العنيف الذى يعد به أعجوبة من أعاجيب عصرنا النادرة!"، فإن هذه العبارة تنطبق بحذافيرها على شوقى ضيف نفسه.

تنوعت مؤلفات شوقى ضيف وتعددت على نحو يدعو إلى الإكبار والإجلال والإعجاب والاندهاش فى الوقت نفسه، فما أنجزه ذلك العالم الجليل، كما وكيفا، يمثل حالة نادرة من حالات الرهبنة العلمية والتصوف الفكرى والإخلاص الأكاديمى والدأب البحثى الذى قلّ نظيره. ولذلك يصعب تصنيف جهود شوقى ضيف فى مجال واحد أو تخصص محدود، فقد كتب فى كل فروع الدراسات الأدبية والبحث النقدى وتاريخ الأدب والدراسات الدينية؛ كتب فى (الشعر) و(النثر) و(البلاغة) و(النقد) و(النحو) و(اللغة) و(التاريخ) و(التراجم والسير) و(التفسير القرآنى) و(السيرة النبوية) و(دراسة الحضارة) و(تحقيق التراث)..

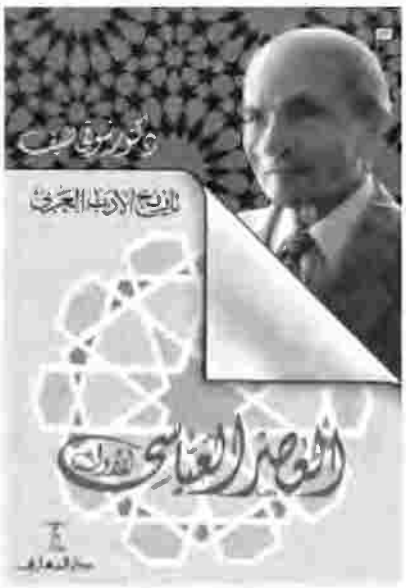

ولا غرابة - والأمر كذلك - فى أن يكتب بعض تلامذته عنه كتبا تؤكد قيمته الاستثنائية، وأن ينال تكريم العديد من المؤسسات العلمية والأكاديمية، فتاريخه العلمى حافل فى الجامعة، وفى مجامع اللغة العربية

على السواء، ومؤلفاته تزيد على الخمسين كتابا ومؤلفا، وستة كتب محققة، أولها «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبى، وثانيها القسم الخاص بالأندلس من كتاب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد، وثالثها كتاب «السبعة قراءات» لابن مجاهد، ورابعها «الدرر فى اختصار المغازى والسير» لابن عبد البر، وخامسها «نقط العروس فى تواريخ الخلفاء» لابن حزم، وهى رسالة طبعها فى الجزء الثانى من المجلد الثالث عشر لمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة. أما التحقيق الأخير فهو «رسائل الصاحب بن عباد» (بالاشتراك) الذى طبعته دار الفكر العربى.

ظل يعمل فيه منذ أن أصبح معيدًا سنة ١٩٣٦م، ونال فيه درجة الماجستير بمرتبة الشرف سنة ١٩٣٩م، والدكتوراه بمرتبة الشرف الممتازة سنة ١٩٤٢م. وترقّى فى هذا القسم إلى وظيفة مدرس بعد حصوله على الدكتوراه سنة ١٩٤٢م، وانتقل إلى درجة أستاذ مساعد سنة ١٩٤٨م، وأصبح أستاذًا لكرسى آداب اللغة العربية فى القسم نفسه سنة ١٩٥٦م، ثم رئيسًا له سنة ١٩٦٨م. وحين جاوز الستين عُيّن أستاذًا غير متفرغ سنة ١٩٧٥م، ثم أصبح أستاذًا متفرغًا إلى وفاته فى شهر آذار مارس الماضى.

وتعنى هذه السيرة الجامعية أن الرجل ظل يقوم بالتدريس والإشراف والتوجيه الجامعى على امتداد سبعين عامًا، وأنه ظل يسهم فى تكوين أجيال عدة توزعت على أقطار الوطن العربي،

وأسهمت فى تأسيس جامعاته التى لم يبخل عليها شوقى ضيف بالعطاء، فقد تولى التدريس فى جامعة بيروت العربية أستاذًا زائرًا سنة ١٩٦٣م، ودعته الجامعة الأردنية للمشاركة فى تأسيسها سنة ١٩٦٦، وجامعة بغداد سنة ١٩٦٨م، وشارك فى تأسيس جامعة الكويت سنة ١٩٧٠م، وحاضر فى جامعة الرياض سنة ١٩٧٣م، الأمر الذى كان يصله بتلامذة جدد ـ إلى جانب الأجيال الأقدم ـ من أبناء هذه الأقطار التى تدين له جامعاتها بعطائه الذى انطلق من وعيه القومى الذى دعمه إيمانه «بوحدة التراث العربى».

ولولا هذا الإيمان ما كانت فاعليته فى مجمع اللغة العربية الذى دخله عضوًا عاملًا سنة ١٩٧٦م، وانتخب أمينًا عامًا له سنة ١٩٨٨م، ثم نائبًا للرئيس سنة ١٩٩٢م ورئيسًا سنة ١٩٩٦م، لا يكف عن تأكيد وحدة الثقافة العربية فى مؤتمرات المجمع الثقافية. ولذلك أصبح رئيسًا لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية سنة ١٩٩٦م، وذلك فى الأجيال الكثيرة اللاحقة. وأصبح عضو شرف فى المجمع العلمى الأردنى والمجمع العلمى العراقى بعد رحلة طويلة من التأثير فى الأكاديميين العرب الذين تتلمذوا عليه

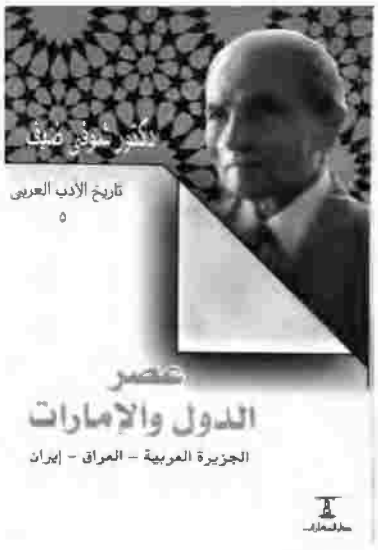

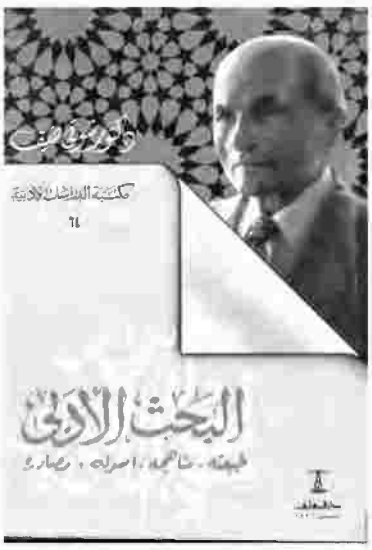

فى المجالات المتنوعة التى ترك فيها علاماته وكتاباته. ولا غرابة - والأمر كذلك - فى أن تكرمه المجامع العربية والهيئات الثقافية التى منحته جوائزها، وعلى رأسها جائزة الملك فيصل العالمية.

أما أعظم ما ألف الدكتور شوقى ضيف فهو موسوعته الضخمة «تاريخ الأدب العربى» بمجلداتها العشرة التى استغرق العمل فيها ما يقرب من ثلاثين عاما، ثلاثة عقود متصلة يعمل فيها بدأب وإصرار وتجرد إلى أن أتم أوفى وأكمل موسوعة عن تاريخ الأدب العربى عبر عصوره المتعاقبة، يكتبها وللمرة الأولى مؤرخ أدب عربى.

وهذه المجلدات العشرة ألقت الضوء على بيئات ظلت مجهولة فى تاريخ الأدب العربى، وظلت أدوارها بعيدة عن اهتمام دارسى الأدب العربى، مثل ليبيا وتونس وصقلية وإيران وافريقيا وغيرها من البيئات، والتى أسهم إلقاء الضوء عليها فى استكمال اللوحة البانورامية الكبرى لمسيرة الأدب العربى فى بيئاته المعروفة وغير المعروفة، وذلك على نحو غير مسبوق فى شموله وثرائه ودقته.

وخرجت الأجزاء العشرة على النحو التالى: الجزء الأول عن «العصر الجاهلى» الذى أصدرت منه دار المعارف بالقاهرة أكثر من اثنتين وعشرين طبعة إلى اليوم، وبعده جاء الجزء الثانى، كتاب «العصر الإسلامى» الذى صدرت له تسع عشرة طبعة، ثم الجزء الثالث عن «العصر العباسى الأول»، والجزء الرابع عن «العصر العباسى الثانى».

وجاء الجزء الخامس عن «عصر الدول والإمارات» الممتد من سنة ٣٣٤ للهجرة إلى مشارف العصر الحديث، والذى يتعرض لتاريخ الشعر فى الجزيرة العربية والعراق وإيران. وهو الجزء الذى يكتمل بالجزء السادس عن «الشام»، فى عصر الدول والإمارات، وبعده الجزء السابع من العصر نفسه عن «مصر»، ثم الجزء الثامن عن «الأندلس»، أما الجزء التاسع فكان عن «ليبيا وتونس

وصقلية»، بينما انفرد الجزء العاشر والأخير بالأدب فى «الجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا والسودان». ويمكن لأى قارئ متخصص أن يدرك على الفور سبق شوقى ضيف، فى موسوعته التاريخية، إلى التأريخ لأقاليم وأقطار، لا نجد لها تاريخا أدبيا يغطى عصورها التراثية المختلفة، كما حدث مع ليبيا وتونس وصقلية وموريتانيا والسودان وأشباهها.

وهناك، إلى جانب هذا الجهد الاستثنائى، فى التأريخ للأدب العربى عبر عصوره وأقطاره، العشرات من كتبه الأخرى فى مجالات الأدب العربى وفنونه، وكلها صدر عن دار المعارف.